

الوصف في شعر الوزير جنيد: دراسة تحليلية لبعض القصائد

في ديوانه

إعداد:

علي محمد وإبراهيم شيخ

قسم الدراسات الإسلامية كلية القانون والدراسات الإسلامية صكتو

المقدمة:

الحمد لله المتصف بالعزة والكمالة الذي خلق الأزواج كلها وجعل الأخضر والأبيض من أحسن أوصاف الجمال، والصلاة والسلام على الرسول وأصحابه البررة الآل، والذين اتصفوا بصفاتهم الفاضلة واستنوا بسنتهم وتزودوا للمآل. أما بعد:

فهذه مقالة وجيزة حول فن الوصف في ديوان الدكتور الوزير جنيد بن البخاري، مع دراسة بعضها دراسة أدبية تحليلية. وتحتوي المقالة على النقاط التالية.

التعريف بالدكتور الوزير جنيد

نسبه مولده ونشأته:

هو جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن عثمان الملقب بـ {غَطَّاطُؤُ} بن أبي بكر الملقب بـ {لَيْمٍ} وهو من قبيلة الفلانيين التي تنسب إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع فاتح بلاد إفريقيا. ولد الوزير جنيد في بيت العلم والثقافة العربية في حارة غطاطاوا في مدينة صكتو وهي بجوار قصر الأمير، وذلك عام ألف وتسعمائة وست سنوات ١٩٠٦ م. الموافق بألف وثلاثمائة وخمس وعشرين هجرية ١٣٢٥ هـ.^٢

تتلذذ الوزير جنيد على جهايزة العلماء في عصره بمدينة صكتو وخارجها وأنفق زمنا طويلا في طلب العلم ودراسته والإختلاط بأهله، وعكف الدكتور الوزير جنيد رحمه الله على طلب العلم

بجد واجتهاد حتى حصل عليه وأصبح من جهاذة العلماء في عصره. وأما بالنسبة إلى المدرسة النظامية فإن الدكتور الوزير جنيد لم يدخل تلك المدارس، لأن المدارس لم تكن قد أسست في إقليم دولة صكتو آنذاك.

وبعد أن أكمل الوزير جنيد دراسته التقليدية انخرط في سلك التدريس ففتح معهداً تقليدياً في داره واجتمع حوله عدد كبير من طلاب العلم يدرسه العلوم الدينية والأدب والتاريخ لا سيما تاريخ خلافة صكتو. ثم طلب من قبل الحكومة للتدريس في العلوم العربية والدينية في المدرسة الوسطى في صكتو المعروفة الآن بكلية نَغْرَتَا. وفي عام ١٩٤٩م عُيِّن مدرساً للغة العربية والدراسات الإسلامية بمدرسة البنات بصكتو، وفي عام ١٩٤٢م انتقل إلى مدرسة الشريعة بصكتو ناظراً ومدرساً فيها.

انتاجاته العلمية والأدبية وشاعريته:

كان الوزير جنيد أكثر الوزراء إنتاجاً في الأدب نثراً وشعراً، وله أكثر من أربعين مؤلفاً في اللغة العربية ما بين النثر والشعر، وكان الوزير جنيد أديباً وشاعراً ومرجعاً هاماً في تاريخ صكتو، وقد بذل جهداً فعالاً في جمع المخطوطات، وقرض أشعاراً بديعية في مختلف الأغراض.^٤

ولأجل كثرة إنتاجاته الأدبية منحه جامعة أحمد بلو زاريا درجة الدكتوراه الشرفية في الأدب، وكان ذلك سنة ١٩٧١م. ومن العجيب في شأن الوزير كون نشاطه الأدبي لم ينحصر في اللغة العربية فقط، بل جاوز إلى غيرها من اللغات، حيث ألف بعض الكتب في اللغة الفلاتية كما قرض بعض القصائد في اللغة المحلية أعني "هوسا".^٥

ومن مؤلفاته النثرية ما يلي:

- ١-المبادئ الضرورية في الدروس العروضية.
- ٢-التحفة الزكية عن الرياض الحجازية.
- ٣-الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة.
- ٤-الرسالة الناصحة لمؤلفي المطالعة الواضحة.

- ٦- إتحاف الحاضر بمراثي المسافرين.
- ٧- التحفة السنوية في تعريف صكتو الية.
- ٨- التذييل على كتاب الخليل بن عبد الله.
- ٩- نيل المرام بذكر ترجمة أمير المؤمنين محمد بلو الهمام.
- ١٠- ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات.

ومهما يكن من أمر فإن ملكة وزير جنيد الشعرية ودوره في تطوير مجال الشعر لا يقل شأنًا عما سبق ذكره عن آبائه وأجداده، وقد تجدله قصائد في فنون شتى. والشاعر الوزير جنيد في الدرجة الأولى إذ أنه شاعر لا تكاد تجد تكلفا في شعره وقريحه أدبية فطرية وعاطفة صادقة رقيقة سريعة الإستجابة لمواقف الحزن والشجن وهو قوي الملاحظة دقيق الوصف، وكان للوزير جنيد ديوان في الشعر العربي، حيث طرق أغراضا مختلفة من أغراض الشعر في هذا الديوان، مثل المدح والثناء والوصف وغيرها.

وفاته:

توفي الوزير جنيد - أثار الله ضريحه- بمدينة صكتو يوم الخميس أول شهر رمضان عام ١٤١٧هـ الموافق بالتاسع عشر من يناير عام ١٩٩٧م. وتوفي عن ثلاث أزواج وست وعشرين ولدا، ثلاثة عشرة رجالا، و ثلاث عشر نساء.^٦

الوصف في الأدب العربي النيجيري،

الوصف عند أهل اللغة من وصفت الشيء وصفا وصفة. والهاء عوض من الواو. وتواصفوا الشيء من الوصف. واتصف الشيء، أي صار مُتَوَصِّفًا. قال طرفة بن العبد من بحر البسيط:

إني كفاني من أمرهممَّتْ به * جارُّكجارِ الحُذافي الذي اتَّصَفَا^٧

أي صار موصوفاً بحسن الجوار.

وأما مفهوم الوصف عند الأدباء يكاد النقاد يجمعون على أن أجود الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف، حتى يكاد يمثله عيانا للسامع، وذلك بأن يأتي الشاعر بأكثر معاني ما يصفه،

وبأظهر ما فيه، وأولاهما بأن تمثله للحس. ولذا قال بعض النقاد: أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً^١

أما الوصف في الأدب العربي النيجيري، فإن الشعراء في القرن التاسع عشر، والعشرين، والواحد والعشرين أنتجوا قصائد جيدة في الوصف فظهر في دواوين بعض الشعراء منهم الشيخ عبد الله بن فودي، وأمير المؤمنين محمد بلو، ومحمد البخاري، وكان أغلب الوصف لديهم مقتصر في وصف المعارك الحربية وقد رسموا فيه صوراً نابضة بالحركة والحياة للمعارك الفاصلة التي خاضها المسلمون ضد المعتدين ونجد ذلك واضحاً في وصف المعارك الكبيرة كوصف معركة كتو، ومعركة ألقاضاوا، ومعركة ألسا، ومعركة قاقرا.

استمع إلى عبد الله بن فودي يصف معركة كُتُو من بحر الطويل:

وَصَلْنَا لِأَهْلِينَا فَجَاوَزْتُ مَنَزِلِي * بَغِيرِ جُلُوسٍ فِيهِ وَالنَّاسُ هُجَّعٌ^٢

ثم وصف السهام والسيوف وبعض أدوات القتال فقال من الطويل أيضاً:

تَدَاعَى أَوْلُو الْإِسْلَامِ حِينَ تَزَامَرُوا * بِكَلِّ حُسَامٍ يُفْرِقُ الْهَامَ مُشَهَّرَا

وَكُلُّ رُدَيْيٍّ وَأَسْمَرَ قَعْضِي * عَلَى كَلِّ أَجْرَدٍ مِنْ نَجَائِبِ بَرَبْرَا

وَرَجُلُهُمْ يَحْيِي سَهَامًا كَانَتْهَا * نَدَى صَبَابٍ فِي جَوِّ النَّهَارِ وَأَمْطَرَ^٣

كما وصف أمير المؤمنين محمد بلو في الأبيات التالية الأماكن التي قتلوا فيها الأعداء، مع ذكر عدد المقتولين في كل مكان من تلك الأماكن والقصيدة من بحر الطويل:

فَأَبْلَغُهُمْ أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقُرْبِنَا * سُرَاتِكُمْ قَتْلًا فَخَلُّوا التَّفَاخُرَا

(فَبَاكِي) قَتَلْتَهُمْ (وَتَانُوا) بِأَرْضِهَا * وَ(بَانَاغَ) قَتَلْنَا وَفِي جَابِ أَكْثَرِ

وَفِي جَانُو قَتَلْنَا بِهَا مِائَةً وَشَيْ * وَأَبْنَا عَلَى لَكَانِكِي هُنَاكَ مُعَسْكَرَا^٤

الوصف في ديوان الدكتور الوزير جنيد:

إن الوصف من أبرز الأغراض الشعرية التي طرقها الدكتور الوزير جنيد، فقد خطا خطوة محمودة إلى الأمام في وصف ما يسمى بالطبيعة المتحركة والصامتة، إذ كان يرسم صورا جديدة لبعض المناظر أو الأشياء التي شاهدها أو خلبت عقله وأثارت مشاعره وعواطفه في إقامته ورحلاته.

ومن أروع قصائده في هذا المجال شعره في وصف "الخرطوم" لما زارها حيث وصف الطائرة التي ركبها إلى السودان وصفا دقيقا وعجيبا، وهي قصيدة مشتملة على ٢٩ بيتا، افتتحها ببناء من يشترك إلى "الخرطوم" ويقول فيها:

يَا مَنْ يُصَعِّدُ أَنْفَاسًا بِأَنْفَاسٍ # شَوْقًا بِخُرْطُومِ ذَاتِ الْوُرْدِ وَالْأَسِ
إِصْبِرْ قَلِيلًا وَإِنَّا سَوْفَ نَحْمِلُنَا # رِعَادَةٌ فِي الْهَوَى مَلْمُومَةُ الرَّأْسِ
صَعَادَةٌ تَتَبَارَى فِي تَجَاوُلِهَا # شُهْبُ السَّمَاءِ الَّتِي تَرْمِي بِأَقْبَاسِ
أَنَانَةٌ فِي نَزُولِ عِنْدَ مَا بَلَغَتْ # إِلَى الْمُحَطَّةِ تَمْشِي مَشْيَ مَيَّاسِ
وهكذا استمر يصف هذه المدينة إلى آخر القصيدة.

وله قصيدة أخرى أيضا يذكر فيها أصدقاءه الماضين الكائنين على تِلِّ يُؤَلِّ وَيُوصِفُ شَوْقَهُ نَحْوَهُمْ
فيقول مطلعها:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسَطَّ يُؤَلِّ مَنَازِلَ * أَقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَوْمِ أَفَاضِلِ
وَنَوَّحَ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَوْحَةٍ * تَمِيلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَأَلْتُ دُمُوعِي وَادَّكَّرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

وقال أيضا في وصف أطلال دولة صكتو وراثتها والحنين إليها وهجاء المستعمرين

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهَدْتُ فِي ذَا النَّادِ مَاذَا وَفُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلَامَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَيَّكَ تَشْدُوا عَلَى التَّرْدَادِ
وَالدَّمَغُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءَ لَأَ كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ

ذَهَبُوا وَغَيَّرَ رَسْمَ دَارِهِمُ الْبَيْلَا أَلْ
مَرَدِّي وَطُولِ تَهَجُّرٍ وَبِعَادِ
تَشْدُو وَتَرْقُصُ فِي حُلِي أَرِيَاشِهَا
نَادَيْتُ خَالَفَنِي عَلَى الْمُعْتَادِ

وخلاصة القول فإن الوصف من أكبر الموضوعات التي جال فيها الشاعر الوزير جنيد بشعره منذ بداية شاعريته لذا كان فن الوصف أكثر الأغراض الشعرية رواجاً، وأوسعها انتشاراً في ديوانه، وهي التي اتخذت أكثر من ثلث قصائد الديوان.

صور من الخصائص الفنية في شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد:

المطلع:

قد تتسم قصائد الوزير جنيد بحسن المطالع الرائعة التي توجي للقارئ مضمونها بمجرد القراءة أو السماع، وذلك لحسن الافتتاح فيها ولأنه أول ما يقرع أذن السامع فينشرح له صدره، وتمتاز به نفسه، فيتشوق لما يأتي بعد. من ذلك قوله: يذكر فيه أصدقائه الماضين الكائنين على تِلْ يُؤَلِّ وَيصف شوقه نحوهم فيقول:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسَطَّ يُؤَلِّ مَنَازِلُ * أَقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَوْمِ أَفَاضِلِ
وَنَوَّحَ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَو * تَمِيلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَأَلْتُ دُمُوعِي وَادَّكَّرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

كانت أغلب قصائد الأستاذ سمبو جنيد يبتدئها بالتنويه عما يتضمنه الموضوع، فيقتحمه دون الوقوف والاستيقاف على الديار والأطلال، كما هو واضح في قوله في افتتاح قصيدة وصف الطائفة التي ركبها إلى السودان وصفا دقيقا وعجيبا:

يَا مَنْ يُصَعِدُ أَنْفَاسًا بِأَنْفَاسٍ # شَوْقًا بِخُرْطُومِ دَاتِ الْوُرْدِ وَالْأَسِ
إِصْبِرْ قَلِيلًا وَإِنَّا سَوْفَ تَحْمِلُنَا # رِعَادَةٌ فِي الْهَوَى مَلْمُومَةُ الرَّأْسِ

أبداع الشاعر ووفق في تصميم القصيدة حيث استهلها ببناء ما يركبه ويوصله إلى بلد الخرطوم ألا وهي الطائرة، ثم استمر يصفها بصفات المعروفة، وهذا مطلع رائع جذاب يوحي للقارئ أو السامع بغرضها في أول خطوة.

التخلص:

والتخلص هو الخروج والانتقال مما ابتدء به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجل المعاني أخذاً بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب، إلى مدح، أو غيره، لشدة الالتئام والانسجام.^{١٢}

اتصفت قصائد الشاعر الوزير جنيد بحسن التخلص حيث كان يتخلص من فكرة إلى أخرى بصفة لطيفة مع مراعاة الملائمة بينهما وذلك في أمثال قوله يصف طائرة، فقال في ذلك:

وَلَا تَزَالُ بِنَا فِي الْجَوِّ طَائِرَةٌ * نَشِيمُ ضَوْءِ الْقُرَى مِنْ ضَوْءِ نِبْرَاسِ
حَتَّى تَنُوحَ عَلَى الْخُرْطُومِ فِي غَلَسِ * وَالْقَوْمَ مَا يَبْنُ سُهَادٍ وَنَعَّاسِ

ثم تخلص من ذلك فشرع يصف بلد الخرطوم وأهلها بقوله:

يَا حَبَدَا الْبَلَدِ الْمَيْمُونُ مِنْ بَلَدٍ # خُرْطُومُ حَارَتْ بِهَا لَيْلًا مِنَ النَّاسِ
يُنْسِي الْغَرِيبَ بِهَا أَوْطَانَهُ أَبَدًا # مَنْ حَلَّهَا لَهْوَى أَوْطَانَهُ نَاسُ
أَبْشُرَ فَإِنَّكَ فِي الْخُرْطُومِ فَابْتَهَجْنَ * أَمَا شَمَمْتَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْأَسِ

وكذلك قوله في وصف أطلال دولة صكتو وراثتها والحنين إليها، فقال في مطلعها:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهْدَتْ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وَقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلَامَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ * فِي أَيَّكَ تَشْدُوا عَلَى التَّرْدَادِ
وَالدَّمَغُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءَ لَأَ * كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ

ثم تخلص من ذلك وانتقل مباشرة إلى الندبة بقوله:

لما سَكَتْ دَنَتْ إِيَّ حَمَامَةً * مُعْبَرَةٌ تَبْدُوا كَلُونَ رَمَادٍ
فَسَأَلْتُهَا أَيْنَ الدِّينِ عَهْدُهُمْ؟ * قَالَتْ لَقَدْ بَلَّغُوا عَلَى المِيعَادِ

أحسن الشاعر في هذا التخلص حيث تخلص من ذكر مقدمته التي بين فيها غاية حزنه لما آل إليه بلده وأهله، فأخذ في الفكرة الرئيسية من القصيدة التي هي هجاؤهم وانتقادهم، فاستعمل أداة "لما" ليبدل على انتقاله من معنى إلى الأخرى.

حسن المقطع:

وهو أن يكون آخر بيت في القصيدة رشيق اللفظ مليح المعنى يظهر للسامع أنه آخر القصيدة لأنه آخر ما يبقى في المسامع. وقد امتازت قصائد الشاعر الوزير جنيد بحسن المقطع، وذلك لأنه يختتمها بخاتمة حسنة طيبة فيجعل براعة الإختتام أحيانا استدراكا لما فاتته في المطلع من أن يستهل بحمد الله والصلاة على الرسول فيقتحم موضوعه مباشرة، وهذا دأبه في أكثر قصائده.

ومثال ذلك جيميته في وصف الخرطوم، ختمها بالصلاة والسلام على رسول الله، ناهجا في ذلك منبر شعراء المسلمين فقال:

عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ * كَعَدِّ الحَصَى وَالرَّمْلِ مَا كُشِفَ الوَجَا
مَعَ الأَلِّ والأَصْحَابِ مَا مُتَوَكَّلٌ * بِهِ نَالَ مَا يَزْجُو وَأُوتِيَ مَخْرَجَا
وكذلك في اختتام لاميته في ذكر أصدقائه الماضين الكائنين على تلِّ يُؤَلِّ، فيقول:

عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا صَامَ مُسْلِمٌ * وَصَلَّى وَنَيْلَتْ مَنْ لَدَيْهِ المُسَائِلُ
وَسَلَّمَ دَوْمًا ثُمَّ بَارَكَ سَرْمَدًا * وَءَالَ مَعَ الأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلُ

الأسلوب الأدبي:

إن من أهم مميزات الأسلوب الأدبي وهدفه هي إثارة عاطفة السامع أو القارئ والتأثير في نفسه، ويمتاز باختيار الألفاظ والتأثير فيها، وامتزاج الفكرة بالعاطفة، وبالعبارة بصور البيان من تشبيه واستعارة وكناية والحرص على موسيقية العبارة، لتصور الإحساس وتميز المشاعر. ويمتاز

باختيار الألفاظ والتأثير فيها، وامتزاج الفكرة بالعاطفة، وبالعناية بصور البيان من تشبيه واستعارة وكناية والحرص على موسيقية العبارة، لتصور الإحساس وتميز المشاعر.

أولا سيحاول الباحثان دراسة أهم عناصر الأسلوب الأدبي واستخراجه من قصائد الشاعر الوزير جنيد على النحو التالي:

١- الفكرة والعاطفة

لقد كانت الأفكار التي يقررها الشاعر الوزير جنيد في قصائده تنسم بصدق الحقائق التي تنتهي إليها والتأكد من صحتها ودقتها و استيعابها بحيث تعطي صورة متكاملة للحدث الذي يعبر عنه. وكان يبتكر أفكاره ويعرضها عرضا واضحا، ويبسطها بسطا جليا، لا لبس فيه ولا غموض، ويعبر عنها تعبيرا رزينا يساعد على وضوحها، دون أن تتيه أو تختفي تحت جلبه الخيال، وروعة التصوير، لأنها الهدف الأول والغرض المقصود في العمل الأدبي.

ومما يكون مثالا على صحة الأفكار ودقتها أيضا في قصائد الشاعر جنيد، قوله:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهَدْتُ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وَقُوفُكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلَامَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ * فِي أَيَكَةِ تَشْدُوا عَلَى التَّرْدَادِ
وَالدَّمَعُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءَ لَأَ * كَالْمَاءِ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ
ذَهَبُوا وَغَيَّرَ سَمَ دَارِهِمُ الْبِلَالَ * مَرْدِي وَطُولِ تَهَجُّرِ وَبِعَادِ

وكذلك كانت العاطفة السائدة في شعر الوزير جنيد أغلبها عاطفة دينية أدبية قوية، ومن ثم غلب على معانيه أفكار دينية، لا يكاد القارئ يقرأ شيئا من شعره إما مدحا، أو رثاء، أو وصفا، أو غير ذلك، إلا أدرك هذه الفكرة تلوح في جوانب تراكيبه الشعرية، ولا غرابة في ذلك لكونه نشأ وتربى على يد العلماء الصوفيين في بيت دين وورع وعلم، وهذه التربية قد أثرت فيه وشكلت عاطفته وفكرته، وصار إذا مدح زين الممدوح بصفات أخلاقية إسلامية، وإذا رثى رثى بنفس المعنى، يصف كل ذلك في شعره وصفا لم يخرج عن التقاليد الأخلاقية في المجتمع الإسلامي.

ومما يدل على قوة عاطفة الشاعر الوزير جنيد وصدقها قوله يصف أصدقاءه الماضين الكائنين على تل يول ويقول:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسَطَّ يُؤَلِّمَنَازِلُ * أَقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَوْمٍ أَفَاضِلِ
وَنَوَّحَ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دَوْحَةٍ * تَمِيلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَأَلْتُ دُمُوعِي وَادَّكَّرْتُ أَحَبَّتَهُ * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

إذا أمعن القارئ النظر في الأبيات السابقة، يدرك وصفا ورتاء حارين صادقين يملآن القلب أسى وحسرة، يحس القارئ فيه من صدق العاطفة ولوعة الأسى والأسف، فالشاعر فيه ملتان القلب مهتاج الفؤاد منهزم الدموع يكاد يذوب أسى ووجد لما ألم به عند وفاة إخوانه وأحبائه في يول. فعاطفة الشاعر فيها عاطفة الشفقة والغيرة، يصور حقيقة عاطفته، ويعبر تعبيرا قويا عن عقيدة أمنت بها الجماعة برمتها.

ومما يكون مثالا على صحة الأفكار ودقتها أيضا في قصائد الشاعر جنيد، قوله يصف الحالة الاجتماعية والسياسية في وطنه، ويشكو تغير الأحوال، وانقلاب الأمور، وانحطاط درجة العلم، وتقهر الأدب التربوية في هذا القطر، بعد أن كان مركزا ثقافيا، يتردد إليه هواة العلم وطلبته من أقطار الدنيا، فقال في ذلك:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهَدْتُ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وَفُوفِكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ
وَعَلَامَ تَبْكِي مِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ * فِي أَيَكَةِ تَشْدُوا عَلَى التَّرْدَادِ
وَالدَّمَعُ يَجْرِي فَوْقَ نَحْرِكَ سَاءَ لَأَ * كَأَلْمَاءٍ يَجْرِي فِي مَسِيلِ الْوَادِ
ذَهَبُوا وَغَيَّرَ رَسْمَ دَارِهِمُ الْبِلَاءُ * مَرْدِي وَطُولِ تَهَجُّرٍ وَبِعَادِ

٢- الألفاظ والتراكيب

إذا أمعن القارئ أو الباحث النظر في الألفاظ التي وظفها الشاعر في أبياته يدرك أن أكثرها متألّفة الحروف سهلة الجري على اللسان عذبة الوقع في السمع كما ثبت أن لجرس الألفاظ وقعا إيجابيا، كثيرا ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد احساسه.

ومن الألفاظ المستعذبة المقبولة غير المستكرهة المستعملة في قصائده قوله في قصيدة الوصف والحنين إلى المعاهد العلمية والعلماء في يول في بلد صكتو شرقها شمالا:

لِي فِي الْمَعَاهِدِ صَبْوَةٌ لِكِنَّهَا	لَيْسَتْ تُعَسِّرُ صَبَوَتِي فِي يُوْلَا
رِيحُ الصَّبَا حَيَّ مَنَازِلَ يُوْلَا	عَنِّي وَهَيَّ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
وَسَقَى الْحَيَا تِلْكَ الرَّبُوعَ وَهَادَهَا	وَتَلَاعَهَا مَعْمُورَهَا وَطُلُولَا
وَطَنٌ تَحْنُ إِلَيْهِ نَفْسِي دَائِمًا	مَا إِنْ أَرَى تَحْتَارُ مِنْهُ بَدِيلًا

والمعتبر في الأبيات الدقة والسهولة في اختيار الألفاظ الملائمة لأداء المعاني التي تجول في نفسه، وذلك مثل إتيانه بكلمات (الصبوة، والأحاب، وريح الصبا، وظل ظليلا، والقصور، والربوع، وغيرها من الكلمات الجيدة الواردة في الأبيات. ومن ذلك قوله في وصف ما شاهده في وطن القاهرة إبان زيارته لها:

أَنَانَةٌ فِي نُزُولٍ عِنْدَ مَا بَلَغَتْ * إِلَى الْمُحَطَّةِ تَمَثِّي مَشْيِ مَيَّاسِ
بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ مِنْهَا نَيْطَ مَرْوَحَةٍ * تَدُورُ مِنْ حَوْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْكَاسِ

إلى قوله:

أَبْشُرُ فَإِنَّكَ فِي الْخُرْطُومِ فَابْتَهَجَنُ * أَمَا شَمَمْتَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْأَسِ

وقد كانت أغلب الألفاظ والمفردات الموظفة في الأبيات السابقة تتصف بالدقة والسهولة وهي صفة أدبية ترضى عنها العامة وتفهمها، وتقبلها الخاصة وتعجب بها. وفي المستوى النحوي والصرفي كان الشاعر الوزير جنيد لا يستعمل الصيغ المتروكة أو المستغنى عنها بغيرها وذلك

لقبحها، ويتباعد أيضا عن استعمال الصيغ الثقيلة ممجوجة ينبو عنها الذوق ويأبأها، وذلك تأسيا وتقليدا بالقرآن الكريم الذي لا يستعمل الصيغ المستكرهه.

ومن ذلك قوله في وصف الطائرة:

صَعَادَةٌ تَتَبَارَى فِي تَجَاوُلِهَا * شُهْبَ السَّمَاءِ الَّتِي تَرْمِي بِأَقْبَاسِ
طَيَّارَةً صَوْتُهَا عَالٍ مُجَوِّفَةٌ * زُمَكَهَا كَدَوَائِي الشَّاهِقِ الرَّأْسِ

أثر الشاعر في البيتين السابقين لفظي (صَعَادَةٌ وطَيَّارَةٌ) من أبنية المبالغة وللدلالة على تكرار وقوع الفعل مرة بعد مرة كما أشار إلى ذلك أبو هلال العسكري بقوله: "إذا فعل الفعل وقتا بعد وقت، قيل فَعَّالٌ مثل عَلَّامٌ وصَبَّارٌ وحمَّالٌ"؛ ليدل على ثباته واستمراره على كثرة الإرتفاع والارتقاء إلى السماء.

وهكذا كانت ألفاظ قصائده قيمة في ذاتها من ناحية موسيقها ودلالاتها على المعاني. وكان يميل إلى استخدام الجمل الخبرية في قصائده أكثر من الإنشائية وذلك لأغراض بلاغية يقصدها، منها كون الخبرية أطول نفسا في تصوير حالة معينة، وكانت أغلب أغراضه الشعرية إما وصفا لواقعة أو وصفا لأحبائه أو ممدوحه. والجمل الإنشائية تكون أدنى إلى الاستخدام في الحالات الشعورية^{١٥}.

وكان يستعمل الجمل الفعلية في غالب تراكيبه الدالة على الحدوث في زمن مخصوص مع الاختصار كقوله:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسَطَّ يُولُ مَنَازِلُ * أَقَامَ بِهَا مِنْ قَبْلِ قَوْمٍ أَفَاضِلُ
وَنُوحَ حَمَامَاتٍ عَلَى غُصْنِ دُوْحَةٍ * تَمِيلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَتَمَائِلُ
فَسَأَلْتُ دُمُوعِي وَادَّكَرْتُ أَحِبَّةً * صَنَائِعُ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ شَمَائِلُ

الموسيقى الداخلية والخارجية:

ومن الصور الموسيقية الداخلية في قصائد الوزير جنيد قوله:

نَادَيْتُهُ يَأْتِيهَا ذَا النَّادِ * فَأَجَابَنِي يَأْتِيهَا ذَا النَّادِ

والجناس بين الناد الأول والثاني جناس تام، لأن كلمة الناد الأولى معناها المجلس أي مكان مهيبؤ لجلوس القوم، والناد الأخرى من نادى ينادي المنادي، ويقال النادي. وكان كثير من شعر الشاعر الوزير جنيد يتصف بالتصريح في مطلعته، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب^{١٧}

ومن أمثال ذلك قوله في قصيدته التي يذكر فيها أصدقائه الماضين الكائنين على تل يول التي مطلعها:

أهاجت همومي وسط يول منازل * أقام بها من قبل قوم أفاضل
وقال أيضا في مطلع قصيدة وصف أطلال دولة صكتو وراثها وهجاء المتعمرين
ظعن الذين عهدت في ذا الناد * ماذا وقوفك في الطول تناد
وقصائد الوصف الواردة في ديوان الوزير كلها على النمط المعروف والمألوف في الشعر العربي،
وفيهما إختيار الأوزان التي تحاكي إيقاعاتها النغمية إيقاعات النفس، لأن أبلغ الأوزان ما لاءم
الموضوع وعاطفته،

كما يلاحظ فيها دقة تنظيم القصائد على البحور والقوافي الشعرية المناسبة للأغراض، وهي كالاتي:

١- بحر الطويل:

(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)

جاء أربع قصائد من شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد على منوال البحر الطويل ، ذلك لأنه بحر يناسب كثيرا من أغراض الشعر المختلفة، وكانت أوزانه تستوعب مالا يستوعب غيرها من المعاني، وتتسع للتشبيهات، وسرد الحوادث ووصف الأحوال^{١٨}

وكانت أغلب الأشعار التي جاءت من هذا الوزن، تقع في وصف السفر والبلاد وأهلها وراثهم. فمثال ذلك رائيته في وصف ما جرى له من يرو إلى الخرطوم من البحر الطويل:

خَرَجْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ فِي غَلَسٍ إِلَى الْدُ
فَطَارَتْ بِنَا مِنْ يَزْوٍ وَلَاجَةً الْهَوَى
تَخُوضُ عُبَابَ الْجَوِّ عِنْدَ ارْتِفَاعِهَا
مُجَوِّفَةً فِيهَا كِرَاسِيَّ صَقِّفَتْ
حَمَطَارٍ وَكُنَّا كَالطَّيُورِ الْبَوَاكِرِ
تُدَافِعُ أَمْوَاجَ الْهَوَى فِي الْهَوَاجِرِ
وَتَمَلَأُهُ مِنْ صَوْتِهَا بِالزَّوَاكِرِ
مُلَيِّنَةً بِالْخَيْشِ بَرَأ لِرَازِرِ

وكذلك قصيدته في وصف نزوله بالخرطوم يقول في مطلعها من بحر الطويل:

نزلنا على الخرطوم بالليل إذ سجا * وليس لنا إلا إلى اله ملتجا

ومن القصائد التي جاءت على وزن البحر الطويل، قصيدة في وصف أغدس وأهلها يقول في مطلعها:

ألا أبلغن عني لأغدس تحية * تفوح بعرف المسك أو عرف صندل

(٢) الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن)

والرجز من الأوزان الخفيفة قليلة المقاطع، وهو أطوع في الغناء، وأوفق مع كثير من المعاني، ويسمونه حمار الشعراء لسهولة نظمه^{٢٠} وقد ورد هذا الوزن في بعض شعر الوصف، مما يتعلق بوصف الأطلال والمعاهد العلمية القديمة، مثال ذلك قول الوزير جنيد في ذكر معاهد يولا ناهية في بلد صكتو، من بحر الرجز:

لي في المعاهد صبوة لكنها * أقام بها من قبل قوم أفاضل

٤- بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)
فاعلن)

والبسيط يقرب من الطويل، لكنه لا يستعب مثله لإستيعاب المعاني، وهو يفوق الطويل دقة وجزالة من وجه آخر^{٢١}

جاءت قصيدة وصف أطلال دولة صكتو ورثائها والحنين إليها، من البحر الرجز يقول في مطلعها:

ظَعَنَ الَّذِينَ عَهْدَتْ فِي ذَا النَّادِ * مَاذَا وَفُوقَكَ فِي الطُّلُولِ تُنَادِ

القوافي:

وكذلك كان الشاعر الوزير جنيد يبدي إعجابا في اختيار القوافي الملائمة بقصائده، وشعره تخضع لقاعدة الوحدات الثلاث، التي تتحكم في النظم العربي، وهي وحدة البحر، ووحدة البناء، ووحدة القافية. ولم يرد في قصائده ما يثقل ويجثم مخالفة للذوق السليم.

وكان يسير على ما توافر عليه العرب من الأصوات، ولم يخرج عن عادة الشعراء في استخدام حروف الروي، حيث وضع قصائده على الحروف الآتية: اللام، والراء، والذال، والجيم، والسين. وهي من الحروف التي كثرت نسبة شيوعها في أشعار العرب.

والسر في ترداد هذه الحروف رويًا لقصائده الوصفية كون أكثرها مجهورة مذلقة، يرجع إلى شيوعها في أشعار الشعراء القدامى، وكونها عنصرا موسيقيا يمتزج فيه الوضوح والإظهار، فيمنح النص فرصة مواتية لإظهار كوامن الإيقاع فيه، وسمة الوضوح السمعي، كما أشار إلى ذلك الصوتيون^{٢١}

الخاتمة:

تناولت المقالة في الصفحات المتقدمة ذكر شخصية الدكتور الوزير جنيد، حيث تحدثت عن ولادته ونشأته، تعلم ثقافته وأدائها وتطبيقها، مع ذكر إنتاجاته العلمية والأدبية. ثم تحدثت عن الوصف لدى الشاعر الوزير جنيد، حيث بدأت بذكر تطور فن الوصف عبر العصور الأدبية، وأخير ذكرت المقالة الخصائص الفنية في شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد، حيث حاول استخراج القيم الفنية والموسيقى الداخلية والخارجية منها.

الهوامش والمراجع

^١ - يحي محمد الأمين، تحفة وزراء صكتو ومساهماتهم في اللغة العربية . الطبعة الأولى ربيع الأول ١٤٠٨ هـ / أكتوبر ١٩٨٢ م . ص : ٢٢ - ٢٣ .

^٢ - المرجع السابق ص ص : ٢٢ - ٢٣

- ٢ - محمد الأمين إبراهيم، الأسماء المشتقة في ديوان "التوسلات" للوزير جنيد دراسة صرفية تحليلية. رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، سنة ٢٠١٧ م، ص ١٧-٢١
- ٤ - يحي محمد الأمين، (الدكتور) يحي محمد الأمين، تحفة وزراء صكتو ومساهماتهم في اللغة العربية. ص: ٢٣
- ٥ - سمبو ولي جنيد (البروفيسور) تصدي الوزير عبد القادر بن محمد البخاري وأخيه الوزير جنيد لإرهاب البريطاني الإستعماري على خلافة صكتو ونظرية الصدق الفنى في قصيدتهما، وهي مقالة افتتاحية للمؤتمر الوطني الثالث والعشرين تنظيم جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنجيريا، ٢٠٠٤/٨/٣٠ م - ١٦/٦/١٤٢٥ هـ، أقيم بجامعة عثمان بن فودي، المقر الفرعي، صكتو، نيجيريا.
- ٦ - محمد الأمين إبراهيم، الأسماء المشتقة في ديوان "التوسلات" للوزير جنيد دراسة صرفية تحليلية. رسالة مقدمة لقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، سنة ٢٠١٧ م، ص ١٧
- ٧ ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٣، موقع: أدب www.adab.com
- ٨ - ينظر، الدكتور أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ط ٨ ٢٠١١
- ٩ - عبد الله بن فودي (العلامة) تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات، ص ٣٤ مخطوط مكتبة الباحث الخاصة
- ١٠ - أمير المؤمنين محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ط الأولى ١٩٦٣ م، القاهرة ص ١٤٢
- ١١ - أمير المؤمنين محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص ١٤٢
- ١٢ - علي بن نايف الشحود، كتاب الخلاصة في علوم البلاغة، ج ١ ص: ٩٥
- ١٣ - الثعالبي، أبو المنصور، روضة الفصاحة، ص: ١٥١
- ١٤ - خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح ج ٢/ ص ٢٨٨، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت
- ١٥ - راجع بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ص، ٤٧ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت
- ١٦ - الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص ٤٥٧
- ١٧ - القزويني، جلال الدين أبو عبد الله، الإيضاح في علوم البلاغة، ط الثالثة، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ص ٣٣٤
- ١٨ - ينظر، في المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت. ج ١ ص ٤٥٦،
- ١٩ - إبراهيم أنيس، الدكتور، موسيقى الشعر، الطبعة الثانية ١٩٠٣ م مكتبة الإنجلو المصرية، ص ٩٦
- ٢٠ - إبراهيم أنيس، الدكتور، المرجع السابق ص ٦٦
- ٢١ - داجي آسية، الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، ص: ١١٠ ط. الأولى مكتبة الأنجلو ١٩٨٩ م